أكاديمية الدراسات
الإسلامية والإنسانية

علوم القرآن

أسباب النزول

المحاضرة الثالثة

21-02-2022

أستاذ المادة: د. توفيق زبادي

أسباب النزول

أقسام نزول القرآن
من حيث السبب

- نزول القرآن لا يخرج عن قسمين:
- الأول: أن لا يكون له سبب مباشر، بل ينزل حسب الحاجة والمصلحة.
- الثاني: أن يقع حدث فينزل قرآن بشأنه، وهذا هو المراد بأسباب النزول.

تعريف أسباب النزول

كل قول أو فعل أو سؤال ممن عاصروا التنزيل نزل بشأنه قرآن.

من أمثلة القول

- ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب.
- قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي؛ زعم ليطأ على رقبته.
- قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه.
- قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة.
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا».
- قال: فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - ﴿كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾ [العلق: ٦ - ١٩]»

من أمثلة الفعل

- ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧]»

من أمثلة السؤال

ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، قال: «أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ..﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه»

سؤال
هل يلزم أن يكون النُّزول عقب الحدث مباشرة؟

- لا يلزم أن يكون النزول عقب الحدث مباشرة، فقد يتأخر؛ كحادثة الإفك، لكن لا يصح أن يكون النزول قبل الحدث، فهذا لا يدخل في أسباب النزول، بل يدخل في الإخبار عن المغيبات، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٤ - ٤٥].
- قال ابن أبي حاتم: عن عكرمة قال: «لما نزلت ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فعرفت تأويلها يومئذ» صلى الله عليه وسلم.
- فسورة القمر مكية، والحدث الذي أشارت إليه مدني، فهو من باب الإخبار بالمغيب فحسب.

فائدة

- مما يحسن ملاحظته أن ترتيب السور والآيات لم يكن على ترتيب نزولها، بل تنزل الآيات على الأسباب خاصة، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق.
- قال الزركشي (ت٧٩٤هـ).: «... الزمان إنما يشترط في سبب النزول، ولا يشترط في المناسبة؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها»

قصص القرآن وأسباب النُّزول

- ليس لكل قصص القرآن سببٌ نزولٌ.
- ومن أمثلة ما كان قصة في سبب النزول حادثة الإفك التي نزل بشأنها قرآن، لكن قصة آدم في سورة البقرة لم يكن لها سبب نزول مباشر كما هو الحالُ في قصة الإفك، فهي من قصص القرآن وليست من أسباب النزول.
- وقد ذكر الواحدي (ت٤٦٨هـ) في كتابه (أسباب النزول) في سورة الفيل ما نصه: «نزلت في قصة أصْحاب الفيل، وقصدهم تخريب الكعبة، وما فعل الله تعالى بهم: من إهلاكهم وصرفهم عنُ البيت، وهي معروفة».
- فاعترض عليه السيوطي (ت٩١١هـ)، فقال: «قلت: والذي يتحرر في سبب النزول: أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه؛ ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ [النساء: ١٢٥] سبب اتخاذه خليلا ليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى»

صيغ عبارات أسباب النُّزول

الأصل في أسباب النزول الصريحة أنها نقلية من جهتين: الصيغة التي يحكى بها سبب النزول، والحدث الذي يذكر في سبب النزول.

- أشهر الصيغ في أسباب النزول هي العبارة التي تأتي بعد فاء السببية (فنزلت، أو فأنزل)، وعبارة (نزلت في كذا، أنزلت في كذا).
- ورود كلمة النزول قرينة قوية في إرادة ذكر سبب النزول، وليست أصلا يحكم به على أن ورودها في الأثر يدل على أنه هو سبب النزول المباشر، إذ قد يكون هناك ما يدل على أنه ليس المراد بها سبب النزول المباشر.

أولا
عبارة (فأنزل اللّه، فنزلت)

- عبارة (فأنزل الله، فنزلت) في السببية من عبارة (نزلت في كذا، أنزلت في كذا)؛ إذ غالب ما يرد بهذه الصيغة يدخل في سبب النزول المباشر بخلاف عبارة (نزلت في كذا، أنزلت في كذا).
- عن أبي الكنود عن عبد الله: «﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾ قالوا: حنطة حمراء فيها شعيرة فأنزل الله: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾». فقوله: «فأنزل الله» لا يعني سببَ النزول كما هو ظاهر متن الأثر؛ لأنه لا يصح حمل هذه العبارة على إرادة سبب النزول المباشر.

ثانيا: عبارة (نزلت في كذا، أنزلت في كذا)

- روى مسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نزلت في عذاب القبر».
- وروى مسلم: في قوله عز وجل: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾ [النساء: ١٢٨] عن عائشة قالت: «نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلعله أن لا يستكثر منها، وتكون لها صحبة وولد، فتكره أن يفارقها، فتقول له: أنت في حل من شأني».

فوائد أسباب النُّزول

- معرفة المعنى المراد بالآية:
- إن سبب النزول يعين على معرفة المراد وتعيينه، إذ قد ترد عليه احتمالات صحيحة من حيث هي، لكن سبب النزول يحدد أحد هذه المعاني، ويكون هو المراد دون غيره.
- وقد نقل السيوطي بعض أقوال العلماء في أهمية أسباب النزول، منها: «قال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن.
- وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب».

- معرفة حكمة التشريع، ومسايرته للحوادث الواقعة:
- إن من فوائد نزول القرآن أنه يساير الحوادث التي كانت تحدث للأمة الإسلامية إبان نشوئها في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأي حدث يحدث، ويحتاج المسلمون فيه إلى بيان فإنه يحصل لهم بيانه بطرق متعددة، منها نزول القرآن الكريم.
- وإذا تأملت بعض التشريعات وجدتها نزلت على أسبابٍ؛ اللعان، والظهار، والعضل، وتقسيم الغنائم، وغيرها من التشريعات. ومعرفة هذه الأسباب المقترنة بالآيات يدلك على شيء من حكمة التشريع، ورحمة الله بعباده بأن لم يتركهم هملا بلا شرع يضبط أمورهم.

الاستفادة منها في مجال التزكية والتربية والتعليم:

- التعامل مع ألناس على ما هم عليْه من الواقع الذي يعيشونه، ومن الأخلاق التي جبلهم الله عليها، وترشده إلى كيفية إثارتهم إلى القضية التي يريد أن يتحدث عنها ببيان كيفية عناية الله بمن نزل فيهم قرآن من المؤمنين، وكيف عالج ما فيهم من الأدواء، وكيف فضح أعداءهم وأبان لهم صنائعهم ومنكراتهم.

قواعد في أسباب النُّزول

- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
  - مثال :
  - ما نزل بشأن كعب بن عجرة رضي الله عنه لما كانت تؤذيه هوام رأسه، فنزلت آية الفدية، وهي قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦.
  - روى البخاري بسنده عن عبد الله بن معقل، قال: «جلست إلى كعب بن عجرة رضي الله عنه فسألته عن الفدية، فقال نزلت في خاصة، وهي لكم عامة؛ حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال: ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى، أو ما كنت أرى الجهد بلغ بك ما أرى؛ تجد شاة؟ فقلت: لا. فقال: فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع».
  - فمن وقع له حال مثل حال كعب حلق وفدى.